

نوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس ١٥ : الصحابي عمرو بن الجموح

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٣٠١-١٩٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أ. جمال: فضيلة الشيخ، سيدنا الصحابي الجليل عمرو بن الجموح شخصية كريمة من صحابة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام، حيثًا لو نسلط الضوء في هذه الليلة المباركة حول هذه الشخصية الفذّة.

أ. راتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاه والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، هذا الصحابي الجليل له قصة طريفة، فهو زعيمٌ من زعماء يثرب في الجاهلية، وسيد بنى سلمة، وواحدٌ من أجود المدينة وذوي المروءات فيها، وقد كان من شأن الأشراف في الجاهلية أن يتخذ كل واحدٍ منهم صنمًا لنفسه في بيته، ليترک به عند الغدو والرواح، وليدبح له في المواسم، وليلجأ له في المِلَّات، وكان صنم عمرو بن الجموح يُدعى مناة، وقد إتخذه من نفيس الخشب، وكان شديد الإسراف في رعايته والعناية به وتضميشه بنفائس الطيب، وكان عمرو قد جاوز الستين من عمره، بينما بدأت أشعة الإيمان تغمر بيته فبيتاً على يد سيدنا مصعب بن عمير، فآمن على يده أولاده الثلاثة، معوذٌ ومُعاذٌ وخلاقٌ، وترتُّب لهم يدعى معاذ بن جبل، وأمنت مع أبنائه الثلاثة أُمّهم هند، وهو لا يعرف من أمر إيمانهم شيئاً، رأت هند زوجة عمرو بن الجموح أن يثرب غالب على أهلها الإسلام، وأنه لم يبق من السادة الأشراف أحدٌ على الشرك سوى زوجها ونفرٌ قليلٌ معه، وكانت تحبه وتحبه، وتشفق عليه أن يموت على الكفر فيصير إلى النار، وكان هو في الوقت نفسه يخشى على أبنائه أن يرتدوا عن دين آبائهم وأجدادهم، وأن يتبعوا هذا الداعية مصعب بن عمير، الذي استطاع في زمنٍ قليل أن يحول كثيراً من الناس عن دينهم، وأن يدخلهم في دين محمد، فقال مرةً لزوجته: يا هند إذري أن يلتقي أولادك بهذا الرجل، يعني مصعب بن عمير، حتى نرى رأينا فيه، فقالت: سمعاً وطاعة، ولكن هل لك أن تسمع من ابنك معاذ ما يرويه عن هذا الرجل؟ فقال: ويحك وهل صباً معاذ عن دينه وأنا لا أعلم؟ فأشفقت المرأة الصالحة على الشيخ وقالت: كلا، ولكنه حضر بعض مجالس هذا الداعية وحفظ شيئاً مما يقوله، فقال: أدعوه لي، فلما حضر بين يديه قال: أسمعني شيئاً مما يقوله هذا الرجل، فقرأ سورة الفاتحة، فقال: ما أحسن هذا الكلام وما أجمله، أو كل كلامه مثل هذا؟ فقال معاذ: وأحسن من هذا يا أبا تاه، فهل لك أن تباعيَه فقومك جميعاً قد بايعوه، سكت الشيخ قليلاً ثم قال: لست فاعلاً حتى أستشير مناة فأناظر ما يقول، فقال الفتى: وما عسى أن يقول مناة يا أبا تاه وهو خشبٌ أصم لا يعقل ولا ينطق؟! فقال الشيخ في حدة: قلت لك لن أقطع أمراً دونه، ثم قام عمرو بن الجموح إلى مناة، وكانوا إذا أرادوا أن يكلموه جعلوا خلفه امرأة عجوزاً فتجيب عنه

ما يلهمها إيه في زعمهم، ثم وقف أمامه بقامته الممدودة، واعتمد على رجله الصحيحة، فقد كانت الأخرى عرجاء شديدة العرج، فأثنى عليه أطيب الثناء ثم قال: يا مناة لا ريب بأنك قد علمت بأن هذا الداعية الذي وفد علينا من مكة لا يريد أحداً بسوء سواك، وأنه إنما جاء لينهانا عن عبادتك وقد كرهت أن أبأيده على الرغم مما سمعت من جميل قوله حتى أستشيرك، فأشر عليّ، فلم يرد عليه مناة بشيء.

أ. جمال: عجيب يا أستاذ راتب النابلسي هذا الضعف في العقل.

أ. راتب: هكذا كانوا في الجاهلية، لما سُميت الجاهلية جاهليّة؟ لأنها جهل.

فقال لعلك قد غضبت، وأنا لم أصنع شيئاً يؤذيك بعد، ولكن لا بأس سأتركك أياماً حتى يسكت عنك الغضب، كان أبناء عمرو بن الجموح يعرفون مدى تعلق أبيهم بصنمه مناة، وكيف أنه غدى مع الزمن قطعة منه، ولكنهم أدركوا أنه بدأت تتزعزع مكانته في قلبه، وأن عليهم أن ينتزعواه من نفسه إنتراعاً فذلك سبيله إلى الإيمان، أدلج أبناؤه مع صديقهم معاذ بن جبل إلى مناة في الليل، وحملوه من مكانه وذهبوا به إلى حفرة لبني سلمة يرمون به أقدارهم وطرحوه هناك، وعادوا إلى بيوتهم دون أن يعلم بهم أحد، فلما أصبح عمرو دلف إلى صنمته لتحيته فلم يجده فقال: ويلكم من عدا على إلها هذه الليلة؟

أ. جمال: ما معنى كلمة دلف؟

أ. راتب: أي سلك.

فلم يجده أحد بشيء، فطفق يبحث عنه في داخل البيت وخارجه وهو يرغى ويزبد ويتهدد ويتوعد، حتى وجده منكساً على رأسه في الحفرة، فغسله وطهره وطبيه وأعاده إلى مكانه وقال له: أما والله لو أعلم من فعل هذا لأخذته، فلما كانت الليلة الثانية، عدا الفتية على مناة، ففعلوا فيه مثل فعلهم بالأمس، فلما أصبح الشيخ يلتمسه فوجده في الحفرة ملطاً بالأقدار، فأخذه وغسله وطبيه وأعاده إلى مكانه، وما زال الفتية يفعلون بالصنم مثل ذلك كل يوم، فلما ضاق بهم زرعاً راح إليه قبل منامه وأخذ سيفه فعلقه برأسه، وقال له: يا مناة إنني والله ما أعلم من يصنع بك هذا الذي ترى، فإن كان فيك خير فادفع الشر عن نفسك، وهذا السيف معك، ثم آوى إلى فراشه، فما إن إستيقن الفتية من أن الشيخ قد غط في نومه حتى هبوا إلى الصنم، فأخذوا السيف من عنقه وذهبوا به خارج المنزل، وقرنوه بكلب ميت، وأقوه بهما في بئر لبني سلمة تسيل إليها الأقدار وتتجمع فيها، فلما استيقظ الشيخ ولم يجد الصنم خرج يلتمسه، فوجده مُكبّاً على وجهه في البئر مقروناً إلى كلب ميت وقد سُلب منه السيف، فلم يخرجه هذه المرة من الحفرة، وإنما تركه حيث أقوه وأنشأ يقول: والله لو كنت إليها لم تكن أنت وكلبٌ وسط بئرٍ في قرن، ثم مالبث أن دخل في دين الله.

أ. جمال: يبدو أستاذ راتب النابلسي أن حلاوة الإيمان بدأت تدخل إلى قلب هذا الصحابي الجليل عمرو بن الجموح، لتنابع والعود أحمد إلى هذا الحديث الشيق.

أ. راتب: الآن فتحت صفحة في حياته جديدة، تذوق عمرو بن الجموح من حلاوة الإيمان ما تذوق، وما جعله يُغضّ بنان الندم على كل لحظةٍ قضاها في الشرك، فأقبل على هذا الدين الجديد بجسده وروحه، ووضع نفسه وماليه ولولده في طاعة الله وطاعة رسوله، وما هو إلا قليلٌ حتى كانت أحد، فرأى عمرو بن الجموح أبناءه الثلاثة يتجهزون للقاء أعداء الله، ونظر إليهم غادين رائحين كأسد الشرّай وهم يتوجهون شوّفًا إلى نيل الشهادة والفوز لمرضات الله، فأثار الموقف حمّيّته وعزم على أن يغدو معهم إلى الجهاد تحت راية رسول الله صلّى الله عليه وسلم، لكن الفتية أجمعوا على منع أبيهم مما عزم عليه، فهو شيخ كبير طاعنٌ في السن، وهو إلى ذلك أعرجٌ شديد العرج، وقد عذره الله عزّ جل فيمن عذرهم، فقالوا له: يا أباًنا إن الله عذرك فعلام تُكلف نفسك بما أفعاك الله منه، فغضب الشيخ من قولهم أشد الغضب، وانطلق إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام يشكوكهم، فقال: يا نبي الله إن أبنائي هؤلاء يريدون أن يحبسوني عن هذا الخير، وهم يتزرعون بأني أعرج، والله إني لأرجوا أن أطأ بعرجي هذه الجنة.

أ. جمال: وهذه مقوله مشهورة، ونحن دائمًا نعتز بهذه المقوله لأنها تدل على عمق الإيمان في قلب المؤمن الذي دخل هذا الإيمان إلى قلبه.

أ. راتب: ألم أقل في أو اللقاء إن له قصةً طريفة، فقال عليه الصلاة والسلام لأبنائه:

((دعوه لعل الله عزّ وجل يرزقه الشهادة))

فخلوا عنه إذ عناً لأمر النبي عليه الصلاة والسلام، وما إن أذف وقت الخروج حتى ودع عمرو بن الجموح زوجته وداع مفارق لا يعود، ثم إتجه إلى القبلة ورفع كفيه إلى السماء وقال: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائباً، ثم انطلق يحيط به أبناءه الثلاثة وجموع كبيرة من قومه بني سلمة، ولما حمي وطيس المعركة، وتفرق الناس عن رسول الله صلوات الله عليه، شوهد عمرو بن الجموح يمضي في الرعييل الأول ويثبت على رجله الصحيحة وثباً وهو يقول: إني لمشتاقٌ إلى الجنة، إني لمشتاقٌ إلى الجنة، وكان وراءه ابنه خلاد، ومازال الشيخ وفتاه يُجالدان عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم، حتى خرا صريعين شهيدين على أرض المعركة، ليس بين الإن و أبيه إلا لحظات، وما إن وضعت المعركة أوزارها، حتى قام النبي عليه الصلاة والسلام إلى شهداء أحد ليواريهم ترابهم، فقال لأصحابه:

((خلوهم بدمائهم وجراحهم، فأننا الشهيد عليهم))

ثم قال:

((ما من مسلم يُكلّم في سبيل الله إلا جاء يوم القيمة يسأّل دمًا، اللون لون الزعفران، والريح ريح المسك " ثم قال: " إدفوا عمرو بن الجموح مع عبد الله بن عمرو، فقد كانا متحابين متصفين في الدنباء))

رضي الله عن عمرو بن الجموح وأصحابه من شهداء أحد، ونور لهم قبورهم.

أ. جمال: في الواقع لا يسعنا إلا أن نقول: رحم الله عزّ وجل كل صاحبة النبيّ الأعظم عليه الصلاة والسلام، والصحابي الجليل عمرو بن الجموح الذي تحدثنا عنه في هذه الحلقة الطيبة، نشكر فضيلة الشيخ إليها الأعزاء باسمكم جميعاً، فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي، الأستاذ المحاضر في كلية التربية جامعة دمشق، والمدرس الديني في مساجد دمشق، وخطيب جامع النابلسي بدمشق ، نشكركم الشكر الجزييل، لنا لقاء إنشاء الله.

والحمد لله رب العالمين